تجربة الإسلام السياسي
حركات سياسية وحكومات في التعامل مع الغرب

د. عبد الفتاح علي الرشدان*

مقدمـــة :

شهد العالم منذ منتصف الثمانينات من هذا القرن تحولات سياســية واقتصــادية كبيرة على المستوى العالمي، شملت مناطق متعددة، في مقدمتها أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي، وبعض الدول النامية. وقد تأثر العالم العربي والإســلامي بهــذه التحــولات، ويتميز البنيان الدولي بوجود درجة من الترابط بين وحداته المختلفة، فهــذه الوحــدات لا توجد داخل البنيان منعزلة عن بعضها ، ولكنها تدخل في علاقات ومعــاملات اتصــالية متبادلة، وتتأثر ببعضها ، في سياق هذه المعاملات فقد أصبح العالم اليوم قرية صــغيرة بفضل التقدم الهائل في وسائل الاتصال والإعلام والمواصلات.

إن التطورات والأحداث العالمية المتلاحقة في العالم المعاصر، وكذلك الحــروب والصراعات التي حدثت في منطقة الشرق الأوسط، وما ترتب عليهــا مــن ردود فعــل عالمية مختلفة، كان لها تأثير كبير على واقع الدول العربية والإسلامية في المنطقــة، ولا سيما الحركات الإسلامية وتصوراتها وتوجهاتها نحو العالم الــذي مــا زالــت تتزعمــه الولايات المتحدة، ولو في جانبه الاستراتيجي على الأقل، وكذلك فــإن تصــورات قــادة الحركات الإسلامية وأفعالها، سواء داخل دولهم أو خارجها قد أثرت على نظرة الغــرب وتصوراته نحوهم.

* أستاذ العلوم السياسية، جامعة مؤتة.

وقد شهدت معظم دول العالم الإسلامي تحولات متعددة منها الصحوة الإسلامية التي بدأت منذ مطلع السبعينات من هذا القرن، وهذه التحولات شملت الفكر والثقافة والسياسة والأخلاق، وكان هدفها إبراز الهوية الإسلامية على المسرح الدولي، وقد تصدت لهذه المسألة حركات إسلامية منظمة ومؤهلة ومستندة في أهدافها وفكرها على مصادر من القرآن والسنة والتاريخ الإسلامي بما يتضمن من اجتهادات وممارسات تطورت عبر العصور.

واستطاعت الحركات الإسلامية بعد حوالي نصف قرن من الإعداد والعمل صياغة رأي عام جديد، يطالب بإقامة النظم الإسلامية وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في مختلف مجالات الحياة، وقد جذب هذا التطور المتمثل في زيادة حركة الإحياء الإسلامي اهتمام الدول الكبرى والصغرى على حد سواء، إذ أن درجة حساسية الفاعلين الدوليين أو الوحدات الدولية أخذت تزداد في ظل التطورات التكنولوجية الهائلة والاعتماد المتبادل بين الدول، ولم يعد بمقدور الدول أن تنأى بنفسها عن الأحداث التي يشهدها العالم، وفي هذا السياق فإن الحركات الإسلامية أو ما يقال عنه حركة الإحياء الإسلامي أصبحت تشكل تحدياً واضحاً للغرب، وبخاصة أن الحركات الإسلامية تظهر عداءها بالنسبة لمواقف وقضايا كثيرة ومتعددة في السياسة والثقافة الغربية، ولا سيما سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه قضايا مختلفة ومتعددة في الشرق الأوسط، بالإضافة إلى كيفية إدارتها لعملية الحوار والعلاقات بين دول الشمال ودول الجنوب، مما دفع الدول الغربية للإحساس بوجود خطر يهددها بسبب ظهور هذه الحركات الإسلامية وما أخذت تقوم به من أنشطة وأدوار في المجتمعات التي وجدت فيها.

وقد احتلت مسألة الصحوة الإسلامية وحركة الإحياء الإسلامي، أولوية على جدول أعمال الكثير من المؤسسات السياسية والأكاديمية والإعلامية في الغرب، وساد الاعتقاد في هذه المؤسسات بأن التاريخ العالمي هو تاريخ حضارات وصراع بينها، وأن هذا الصراع سوف يهيمن على السياسة الدولية، وستكون الفوارق الفاصلة بين الحضارات بمثابة خطوط القتال في المستقبل.

ويعتقد صمويل هانتجتون أن مرحلة الصراع بين الحضارات هي أحدث مرحلة في تطور الصراع، وهي تقوم على أساس أن الصراع العالمي بين الحضارات الغربية والحضارات الأخرى، وفي مقدمتها الإسلام ومعه حضارات أخرى هي: الكونفوشية واليابانية والهندية والأرثوذكسية السلافية والأمريكية اللاتينية وربما الأفريقية. ويرى هانتجتون أن الحضارة الإسلامية ستكون مركز الصراع مع الغرب في المستقبل القريب، لأن الشعور الإسلامي بحكم الانتماء الحضاري يجعل الأمة الإسلامية تتمسك بثقافاتها الموروثة.

وفي ضوء ما سبق فإن معظم الآراء القادمة من الغرب تضع الحضارة الإسلامية على خط المواجهة مع الحضارات الأخرى، التي يجب عليها أن تقف معاً لمواجهة الخطر القادم من الشرق في اتجاه الغرب والشمال.

وهذا الموقف العدائي نحو الإسلام ليس جديداً، ذلك أن جذوره تعود إلى الماضي البعيد، ويمكن الإشارة إلى ما قاله إدورد سعيد في كتابه تغطية الإسلام "إن الإسلام كان يمثل على الدوام إزعاجاً وخطراً للغرب، ... فلا يمكن القول عن أي دين أو تجمعات ثقافية أنها تمثل تهديداً للحضارة الغربية بمثل التوكيد الشديد نفسه الذي يعمم الآن عند الحديث عن الإسلام، وليس من قبيل الصدفة أن الاضطراب والعنف والقلاقل التي تحدث الآن في العالم الإسلامي (والتي تتصل بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية أكثر مما تتصل اتصالاً أحادياً بالإسلام)، وقد عرت الحدود الضيقة للكليشات الاستشراقية الساذجة المتعلقة بالمسلمين، دون أن تولد بديلاً يحل محلها في الوقت نفسه ما عدا الحنين للأيام الغابرة، حين حكمت الجيوش الأوروبية العالم الإسلامي برمته تقريباً، امتداداً من شبه القارة الهندية حتى شمال أفريقية".

وعلى الرغم من أن الحركات الإسلامية في معظم دول المنطقة تعاملت مع بعض الوقائع الجديدة التي كان في مقدمتها دعوى بعض الأنظمة ورغبتها في التحول نحو الديمقراطية وإشراك الشعب في الحكم، إذ شاركت الحركات الإسلامية في الانتخابات النيابية التي جرت في كل من مصر وتونس والأردن والجزائر والكويت واليمن منذ مطلع

التسعينات، ولكن ظاهرة الإحياء الإسلامي ما زالت تمثل في أذهان الغربيين وفي أدبياتهم صورة مشوشة وغير صحيحة هي صورة "الأصولية المتطرفة"، والسلوك المتعصب وغير المتسامح الذي يحاول أصحابه فرض عقيدتهم وقوانينهم على الآخرين ولو بالقوة.

ومع أن مثل هذه التصورات والمفاهيم المغلوطة والخاطئة عن الإسلام تعود إلى أدبيات الحملات الصليبية وما تلاها من أدبيات في عصر النهضة، إلا أن وقوع بعض التطورات في الربع الأخير من هذا القرن ساهمت في إثارة هذه المفاهيم وتعزيزها في الغرب وبرزت فكرة الخوف من الإسلام بعد تفجر الثورة الإيرانية بقيادة أية الله الخميني عام ١٩٧٩، وما اقترنت به من معاداة للغرب والولايات المتحدة بشكل خاص .

وسوف تحاول هذه الدراسة إلقاء الضوء على موقف الحركات الإسلامية وتجربتها في التعامل مع الغرب من خلال الموضوعات التالية :

أولا : موقف بعض الحركات الإسلامية في الدول العربية (مصر، الأردن، السودان) من الغرب في قضايا مختلفة .

ثانيا : الإعلام الغربي والإسلام السياسي.

ثالثا : مستقبل العلاقات بين الحركات الإسلامية في الشرق الأوسط والغرب.

أولاً : موقف الحركات الإسلامية من الغرب.

شهد العالم الإسلامي منذ مطلع السبعينات ظاهرة الصحوة الإسلامية التي عبرت عن نفسها من خلال مجموعة من الحركات الإسلامية، وفي مرحلة ما بعد الحرب الباردة التي تميزت بتغيير كبير في توزيع القوة، وباهتمام كبير في ظاهرة الإحياء الإسلامي في بعض البلدان العربية والإسلامية، وسوف تركز الدراسة على بعض الحركات الإسلامية التي أصبح لها وزن سياسي ومؤثر في البلدان التي وجدت بها قبل الحركات الإسلامية في كل من مصر والسودان والأردن.

١- الحركة الإسلامية في مصر (جماعة الإخوان المسلمين)

تعد جماعة الإخوان المسلمين أبرز حركة إسلامية في مصر، وتحتل دوراً بارزاً على الساحة السياسية المصرية ويعود تاريخ نشأة الجماعة إلى نهاية العشرينات من هذا القرن ١٩٢٨*، ويمكن إبراز وجهة نظر الحركة من خلال موقفها من النظام الدولي الجديد والغرب بشكل عام.

وترى الحركة الإسلامية في مصر أنه لا يوجد أي تغيير جوهري أو جديد فيما يسمى النظام الدولي الجديد، وأن تغيير الأسماء أو الأشكال لا يعني بالضرورة حدوث تغيير إيجابي لصالح الدول العربية والإسلامية، وإنما هو تخطيط استعماري جديد تسعى من خلاله الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة لتعزيز هيمنتها على بقية دول العالم وبخاصة الدول العربية والإسلامية.

وتقوم رؤية الحركة الإسلامية للنظام الدولي على أساس أنه نظام ثابت يمثل حالة من عدم التوازن لصالح الدول الغربية التي تمارس الظلم والهيمنة على شعوب الدول الضعيفة والفقيرة، وتحاول استغلالها من خلال خطط وشعارات مختلفة توظفها لخدمة مصالحها حسب المراحل الزمنية المتعاقبة. وتؤكد الحركة الإسلامية أن هيمنة الولايات المتحدة على النظام الدولي تعني جلب المزيد من المخاطر بالنسبة للدول النامية والدول الإسلامية بشكل خاص، إذ أن تحجيم الولايات المتحدة لدور الاتحاد السوفييتي سابقاً وتقليص دور الصين والهند كقوى يمكن أن تبرز في المستقبل، يعني في المحصلة أن النظام العالمي من صنع الغرب العدو الحضاري للأمة الإسلامية الذي يسعى إلى تشويه صورة الإسلام وعدم السماح له بالظهور على المسرح العالمي، ومن هنا فإن الحركات الإسلامية تعلن التمرد على النظام الدولي الجديد ولا تثق به.

ويمكن القول إن الحركة الإسلامية في مصر تدرك من خلال رؤيتها الذاتية الطبيعية للعلاقات التي قامت بين دول أوروبا الاستعمارية وبقية دول العالم وبخاصة الدول الإسلامية، إن هناك مؤامرة عالمية مستمرة ومستعرة ضد الإسلام والمسلمين تهدف

* **نشأت حركة الإخوان المسلمين في السويس عام ١٩٢٨ بقيادة الإمام حسن البنا (المحرر) .**

إلى العمل على إضعاف الأمة الإسلامية ونهب ثرواتها وعدم السماح لها بممارسة أي دور فاعل في النظام الدولي، بل إنها تحاول إجهاض أي بادرة للنهضة الإسلامية .

وفي ضوء موقف الدول الغربية المسيطرة على النظام الدولي، وسلوكها القائم على أساس المعايير المزدوجة والتصرفات الانتقائية، تكونت لدى الحركة الإسلامية رؤية عدائية تجاه النظام الدولي المعاصر بمختلف قواه وعلاقاته وتفاعلاته ومؤسساته، ولذلك لم تبد أي نوع من الاحترام لمثل هذا النظام الجائر، بغض النظر عن الشكل الذي يتخذه (متعدد الأقطاب أو أحادي القطبية)، لأن العالم الإسلامي بقي يعاني من التبعية والحرمان والتخلف، وإضافة إلى ذلك فإن الحركات الإسلامية لا تهتم كثيراً بنظريات العلاقات الدولية التي تفسر –حسب اعتقادهم– حركة النظام الدولي وتفاعلاته المختلفة، وهذه النظرية هي نظرية المؤامرة والتحالف (الصهيوني الصليبي الاستعماري) التي يقوم بتنفيذها على حساب مصلحة الأمة الإسلامية بشتى شعوبها.

ويتضح من أدبيات الإخوان في مصر بعد حرب الخليج، أن الحركة الإسلامية ترى أن حرب الخليج الثانية هي جزء من مؤامرة دولية من أجل خدمة مصالحها ومصالح الحركة الصهيونية في المنطقة، وعلى هذا الأساس فإنه لم يعد أمام المسلمين سوى إعلان "الجهاد" ضد الولايات المتحدة التي تدفع المسلمين باتجاه الوقوف ضدها وضد حلفائها، وتسعى لإبقاء الحاجز النفسي قائماً بين الطرفين.

وعلى الرغم من أن الحركات الإسلامية في مصر ترى أن المواجهة مع الغرب قائمة، إلا أن جماعة الإخوان ترى أن المبادئ الأساسية التي تحكم تعامل العالم الإسلامي مع شعوب العالم الأخرى بمن فيهم شعوب الغرب تستند إلى الخطاب العقلاني والتعاون المتبادل والتعايش السلمي، ولكن عندما يحارب الغرب الحقوق الطبيعية للمسلمين، فإن "الجهاد يصبح فريضة دينية".

وتعتقد الحركة الإسلامية في مصر (الجهاد)، أن ما حصل للجماعات الإسلامية في الجزائر يدل على أن الحركات الإسلامية محاصرة ومحاربة، وأن الهدف هو منعها

من تكوين "نظام إسلامي"، وتسعى الولايات المتحدة وإسرائيل لتحقيق هذا الهدف من خلال التحالف مع جهة يمكن أن تساعدهما في ذلك بمن فيهم بعض العرب*.

٢- الحركة الإسلامية في السودان (الجبهة القومية)

تنطلق نظرة الحركة الإسلامية في السودان إلى الغرب على أساس أنه دول إمبريالية تهدف إلى تدمير السودان وبخاصة الوجود الثقافي والهوية الإسلامية، وتستند هذه النظرة إلى الغرب على الأسس التالية :

i. إن الغرب قوة إمبريالية استقلالية مارست وما تزال تمارس استعباد الشعوب الفقيرة واستغلالها وبخاصة الشعوب الإسلامية.
ii. إن ما حصل من تقدم تكنولوجي وعلمي في الدول الغربية لم يصاحبه تغير في القيم أو الأخلاق، بمعنى أن التقدم الغربي كان محصوراً في الجانب المادي فقط ويفتقر إلى أي منظومة أخلاقية.
iii. أن الغرب يعمل باستمرار على إقناع الدول الفقيرة والمتخلفة بأن النموذج الغربي في التنمية والتحديث هو النموذج الصالح لهذه الدول، وعليها أن تتخذ منه مثلاً يحتذى به إذا أرادت أن تحقق التنمية والتطور.
iv. أن الغرب ينظر إلى الحركة الإسلامية على أنها عدو ثقافي، إذ أن هناك مؤامرة بين القوى الغربية ضد المجتمعات الإسلامية، ويتضح ذلك من إطلاق الاستعمار الإنجليزي يد الشركات المسيحية والبعثات التبشيرية من أجل العمل على جعل الشعب السوداني يتبنى الثقافة المسيحية الأوروبية، لكي يصبح مجتمعاً علمانياً، وفي السودان تحديداً فإن الجبهة القومية ترى أن هناك مؤامرة غربية ضد الشعوب والدول الإسلامية، وأن كل محاولة حوار مع الغرب كانت نتائجها دموية وعنيفة، ويقول حسن الترابي في هذا الصدد: "إن العلاقة بين المسيحية الغربية والإسلام في السودان حتى نهاية القرن التاسع عشر كانت تتسم بالعنف غير المبرر، كما أن

* أي بعض الدول العربية (المحرر) .

الإنجليز مارسوا العنف على الحركات الإسلامية في السودان خلال النصف الأول من القرن العشرين، مما يثبت عدم وجود حوار بين الإسلام والغرب في السودان"، ويضيف الترابي "ومع ذلك فقد حاولت الجبهة القومية منذ توليها السلطة في السودان أن تفتح حواراً مع الغرب على اعتبار أن الحوار يمكن أن يشكل جسراً لنشر الدعوة الإسلامية في الغرب".

ويمكن الاستشهاد بشعارات حسن الترابي زعيم الجبهة وتصريحاته أمام لجنة العلاقات الأفريقية المنبثقة من لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس الأمريكي، فقد أكد الترابي بأسلوب حاذق وواضح بأن الإسلام بطبيعته يؤيد ويشجع الحوار والانفتاح على كل العالم، وقال بأن الإسلام تفاعل مع الحضارات اليونانية والرومانية، وأن المسلمين في الوقت الحاضر هم أصحاب عقول كبيرة، ومنفتحة وقد تلقوا تعليمهم في مناطق متعددة من العالم وبخاصة في الغرب وهم منفتحون على الثقافات الأخرى وعلى استعدادٍ للحوار مع الحضارات المختلفة.

وقد قدم الترابي مجموعة مؤشرات تحدد استراتيجية الحوار مع الغرب:

١- في أسباب الحوار :

يرى الترابي أن الحوار ضرورة وواجب وهو مطلوب حسب الشريعة من أجل نشر الرسالة الإسلامية، إذ ليس من المعقول وضع تصورات مثالية بمعزل عن العالم، كما أن ضرورة الحوار تأتي من طبيعة الظروف الدولية الراهنة التي أصبح الاعتماد المتبادل فيها أمراً واقعاً بسبب التداخل والاتصال بين الدول والجماعات، والحوار شأن ضروري لبناء مستقبل الأمة الإسلامية.

٢- في إطار الحوار وطبيعة العلاقات مع الغرب :

يؤكد الترابي على ضرورة تهيئة المسلمين لمثل هذا الحوار ومن ثم إعداد أجهزة للحوار حتى يمكن أن يؤتي الحوار الثمار المرجوة منه لنشر الإسلام، ويجب على المسلمين أن يأخذوا زمام المبادرة لأن لديهم رسالة يريدون نشرها.

٣- مجالات الحـــوار :

يرى الترابي أن الحوار يمكن أن يكون في ستة مجالات هي: المجـال الثقـافي، والمجال السياسي، والمجال الاقتصـادي، ومجـال المعلومـات والإعـلام، والمجـال الاجتماعي، ومجال الفنون والرياضة.

وتعتقد الحركة الإسلامية في السودان أن الدول الغربية مسؤولة، وقد ساهمت في تخلف المسلمين وذلك من خلال الموروث الإمبريالي في الفتـرات السـابقة، وبالنسـبة للتغيرات التي حصلت في النظام الدولي تعتقد الحركة بأن الولايات المتحـدة أصـبحت مهيمنة على الشؤون الدولية في ظل الأوضاع الجديدة وأنها سوف تحاول محاربة الإسلام باعتباره العدو الأساسي في عالم اليوم بعد انهيار الشيوعية، وعليه تعتقد الحركة الإسلامية أن جميع المنظمات الدولية أدوات في يد الغرب للهيمنة على العالم .

وترى الجبهة القومية أنه من الضروري للحركات الإسلامية أن تعمل من خـلال مؤسسات مجتمعاتها حتى تصل إلى السلطة كما هو حال الجبهة في السودان، ولكنها ترى أيضا ضرورة أن تعمل الحركات الإسلامية من خلال المنظمات الدولية على المسـتوى الخارجي، على الرغم من رفضها للمعايير الانتقائية التي تطبقها هذه المنظمات في إطار النظام الدولي الجديد .

٣. الحركة الإسلامية في الأردن

ترى الحركة الإسلامية في الأردن أن النظام الدولي الذي تشكل بعد انتهاء الحرب الباردة، والذي تسيطر عليه الولايات المتحدة، ليس بجديد، بل إنـه نظـام قـديم، وهـو استمرار للنظام الاستعماري، ولكنه بقيادة جديدة، وهذا يعني سيطرة المسيحية واليهوديـة على العالم، ويتميز هذا النظام بالحقائق التالية :

(١) أنه ليس نظاماً ثابتاً أو دائماً لأنه قائم على أساس المصالح بدون أي اعتبـار للقـيم الإسلامية، ولذلك فإن قيادة الولايات المتحدة له مؤقتة على الرغم من انتصارها في الحرب الباردة، لأن الولايات المتحدة ليست بحالة سليمة كما يعتقد البعض.

(٢) أن الولايات المتحدة تنهب خيرات دول العالم الثالث وكذلك خيرات حلفائها، لأن حلفاءها ليس لديهم خيار غير مسايرة الولايات المتحدة لأنها تمتلك القوى العسكرية، ولكن اليابان وألمانيا بحالة استعداد لتولي قيادة العالم عندما تنهار الولايات المتحدة، ومثل هذه الدول ليس لديها اعتقاد بالديانات على الرغم من خلفيتهم المسيحية أو اليهودية.

(٣) أن الشعوب الإسلامية تعاني باستمرار من جميع التطورات التي تحصل في النظام الدولي، حيث تأثر المسلمون بوعد بلفور بعد الحرب العالمية الأولى، وتأثروا بقيام دولة إسرائيل بعد الحرب العالمية الثانية وتتأثر هذه الدول اليوم بالاعتداء على سيادتها جراء تدخل الولايات المتحدة في شؤونها الداخلية .

وفي نظر "الإخوان المسلمون" في الأردن؛ إن العالم بحاجة إلى نظام جديد لا تسيطر عليه دولة واحدة تحاول أن تستثني الإسلام، إن النظام الجديد يجب أن يقوم على أساس إنساني وعلى قيم الأخلاق التي تجمع بين شعوب العالم.

وإن النظام العالمي كما تراه الجماعة الإسلامية يتصف بعدم العدالة، وهو يمثل اتحاد كل دول الغرب ضد بقية دول العالم.

وفي الوقت الذي ترفض فيه الحركة الإسلامية التفاوض أو الحوار مع إسرائيل فإنها تقبل الحوار مع الغرب، وهذا يعني أن رفض التعامل مع الغرب ليس مطلقاً، ومن هذا المنطلق، فإن جماعة "الإخوان المسلمون" من خلال جبهة العمل الإسلامي التقت السفير الأمريكي في عمان لأول مرة في ١٩٩٣/٥/١٧م.

وفي مجال تعامل الحركة الإسلامية مع الغرب يشير أحد رموز الحركة الإسلامية سابقاً في الأردن إلى أن العالم أصبح قرية صغيرة بسبب ثورة الاتصالات والمواصلات وأصبحت منطقة الشرق الأوسط أهم منطقة على سطح الكرة الأرضية من حيث ارتباطها بالمصالح العالمية وبالسياسة الدولية، ويقول : إذا كان الغربيون صادقين فيما يدّعون من الالتزام بمبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان فإننا نطالبهم بما يلي:

i- نريد ببساطة أن يلتزم الغرب بالأمانة والموضوعية والمعالجة العلمية عند دراسة الحركة الإسلامية أو الكتابة عنها، وأن يلتزم بالتخلي عن تشويه الحقائق أو إهمالها أو تجاهلها.

ii- نريد من الغرب أن يحترم حقنا في الحرية وحق شعبنا في التشبث بثقافته وقيمه وحقه في الدفاع عن قضاياه العادلة.

iii- إننا نريد الديمقراطية ونعمل من أجل الإصلاح الديمقراطي، ففي اعتقادنا تنسجم المبادئ الديمقراطية مع مبادئ الشورى والتشاور، ولكن على الغرب أن يلتزم بتأييد التحولات الديمقراطية، وأن يتخلى عن تأييد الاستبداد بحجة حماية مصالحه، وعليه أن يثبت مصداقيته في الدفاع عن حقوق الإنسان أياً كان صاحب الحق وأياً كان المنتهك له.

iv- نريد أن يستوعب الغربيون أننا، وعلى الرغم من استعدادنا التام ورغبتنا في التعاون في سبيل تحقيق نظام إنساني عالمي جديد يقوم على العدل والمساواة ويُيسر للبشرية الاستفادة مما توصلت إليه الحضارة الإنسانية من تقدم وتطور في المجالات كافة، ويشعر الإنسان فيه بالأمان والاحترام والعيش الكريم، إلا أننا نشك في إمكانية أن تتوصل الحضارة الغربية التي غلبت عليها النزعات المادية والعدوانية من تحقيق مثل هذا النظام العالمي.

نظـرة الغرب إلـى الإسـلام السياسـي

ينظر الغرب إلى الإسلام على أنه العدو المرشح للتصادم مع الغرب وهناك عدة عوامل جغرافية وتاريخية تساهم في تعزيز النظرة للإسلام على أنه هو العدو المرتقب للغرب، وهي:

١- استناداً إلى التراث المسيحي فإن بين الغربيين من يصرّ على اعتبار المسيحية السمة لتعريف الذات وتميزها عن الآخر، وعند البحث عن عدو مرتقب يتم البحث عن آخر غير مسيحي يمكن أن يتناقض مع المجتمع الغربي، وهنا يأتي دور العامل

الجغرافي، فالمجتمع الإسلامي بالنسبة للمتجه جنوباً من أي مكان في أوروبا هو المجتمع غير الأوروبي وغير المسيحي الأقرب للعرب.

٢- هناك العامل البارز الذي يتمثل في مجموعة الذكريات الشعبية المغلوطة عن المعارك ما بين المسلمين والأوروبيين، حيث تظهر هذه الذكريات المسلمين غزاة، وفي الوقت نفسه يسقط العقل الغربي من ذاكرته أن الأوروبيين غزوا واستعمروا معظم البلدان الإسلامية.

٣- امتلاك بعض الدول الإسلامية مثل الباكستان وإيران والعراق سابقاً لبرامج نووية متطورة، وما يمكن أن يسببه ذلك من تهديد للغرب.

٤- الأثر المقلق لوجود جاليات إسلامية كبيرة داخل أوروبا الغربية ينظر إليها في ضوء إمكان أن يكون طليعة لموجة أكبر من الهجرة الناجمة عن الانفجار السكاني.

ويحدد أحد المستشرقين الغربيين أسباب حملة التشويه الغربي لصورة الإسلام فيقول : خوف الغرب من الإسلام يأتي من جوانب ثلاثة " الأول أنهم الأكثر عداوة بسبب ذكريات الماضي الاستعماري، والثاني أن العرب والمسلمين هم الأكثر قرباً من حيث الجوار الجغرافي، والثالث أنهم العقبة أمام السيطرة الغربية على العالم.

ويقول المفكر الفرنسي ماكسم رودنسون بأن " المسيحية الغربية قد رأت في العالم الإسلامي خطراً يهددها قبل أن يبدأ النظر إليه كمشكلة حقيقية بزمن طويل.

إن الحديث عن نظرة الإسلام إلى الغرب تقتضي التطرق لإسرائيل لما تلعبه من دور مؤثر على هذه العلاقة، إذ أن إسرائيل أول من تسعى إلى تشويه صورة الإسلام وإلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام، والتحذير من أن الحركات الإسلامية أصبحت الخطر الأول على استقرار منطقة الشرق الأوسط والعالم.

وعلى الرغم من أن الغرب والأمريكيين بشكل خاص يجادلون بأن السياسة الأمريكية تجاه الإسلاميين تحركها اعتبارات المصالح القومية، وليس اعتبارات إسرائيل الأمنية وحساباتها الخاصة، إلا أن بعض المسؤولين في الحكومة الأمريكية يخالفون هذا

الرأي، ويقول أحد كبار الموظفين في وزارة الخارجية " لقد تأثرنا بتعريف الإسرائيليين للإسلاميين، إن رأي إسرائيل في الأصولية الإسلامية يساهم إلى حد بعيد في تشكيل المدركات السياسية للمسؤولين الأمريكيين حول هذه الظاهرة".

وتحاول حملة التشوية الإسرائيلية للإسلام زرع المخاوف في نفوس الغربيين لقبول كل ما يوصف به الإسلام من سلبيات، وركزت الأقلام اليهودية على مسألة انقطاع الصلة بين الإسلام والديمقراطية، وتشجيع الإسلام للحكم الفردي، وعدم المساواة بين المسلمين وغير المسلمين، وأنه يختلف عن الاتجاهات الحديثة لليهودية والمسيحية في أنه عقيدة سياسية واضحة، وعقلية اتصالية تبشيرية بل عدوانية، ويمكن القول إن هدف الإسرائيليين من ذلك هو تأمين استمرار تدفق المعونات والدعم الاقتصادي الأمريكي والغربي لإسرائيل.

ويفهم مما سبق أن العلاقة بين الغرب والإسلام ليست بمنأى عن تأثير إسرائيل.

ثانياً: موقف الإعلام الغربي من الإسلام

يمكن الاستعانة بهذا القول لوصف كيفية التعرض للإسلام في وسائل الإعلام الغربية "لعلنا لا نغالي إلا قليلاً في قولنا إن المسلمين والعرب تتم تغطيتهم الإعلامية أساساً، ويدور النقاش حولهم ويتم إدراكهم بوصفهم موردي نفط أو إرهابيين محتملين. أما تفاصيل الحياة العربية – الإسلامية والكثافة الشعوبية الإنسانية وزخمها النابض، فلم يدخل إلا النزر اليسير منها حتى في وعي أولئك الذين امتهنوا تغطية العالم الإسلامي والتقرير عنه، ونجد لدينا عوضاً عن ذلك سلسلة محدودة من الكتابة الكاريكاتورية الفجة المختزلة حول العالم الإسلامي، معروضة بطريقة من شأنها أن تجعل هذا العالم معرضاً للعدوان العسكري.

وقد لعب الإعلام الغربي دوراً كبيراً في التأثير على تكوين رؤية مشوهة ومشوشة عن الإسلام السياسي، وهو يكوّن بسبب ذلك رأياً عاماً غربياً يعتقد بأن الإسلام

هو هاجس العصور، ومصدر الخطر أو التهديد، وأن التهديد الذي يمثله الإسلام حقيقة مفروغ منها ولا بدّ من الحذر منه والاستعداد لمواجهته.

ويقوم الإعلام الغربي بالافتراء على الإسلام من منظور بالغ التعصب ويتضح ذلك مما يلي:

i- تنصب النسب الساحقة من المعالجة الإعلامية على الإسلام الشرق أوسطي، وهو ما يؤكد على الربط بين الإحياء الإسلامي والصراع العربي الإسرائيلي في العقل الغربي، وتتأكد هذه العملية مجدداً بالقول بأن حل هذا الصراع هو أساس فك الاشتباك بين الغرب والمسلمين .

ii- الإلحاح في الإيهام بالتناقض بين الإسلام والديمقراطية، وتدشين الحجج والآراء المؤيدة لهذه المقولة، مع تسفيه الآراء المعارضة لها.

iii- الدعوة والتحذير من التفرقة بين التيارات الإسلامية المعتدلة والمتشددة، مثلت نقطة أساسية في معالجة العلاقة بين الغرب والإسلام، رغم التسليم بأن الإسلاميين هم مزيج لا يمكن تحديد مكوناته ولا يمكن وضعهم في سلة واحدة.

iv- التأكيد على العلاقة العضوية بين معاداة الحركات الإسلامية، وبين دعم الأنظمة القمعية في البلدان الإسلامية. فهذه الحملة الغربية ضد الإسلام تستخدم لحشد المساندة لنظم أوتوقراطية موالية للغرب.

v- التحريض في بعض الأحيان على التضحية بالديمقراطية إذا كان نتاجها هو وصول الإسلاميين إلى الحكم.

ومما يؤكد على دور الإعلام الغربي السلبي في رسم صورة الإسلام ومن ثم التأثير في صنع القرار تجاه العالم الإسلامي، أن وسائل الإعلام في الولايات المتحدة إما بدافع خاص منها أو تمشياً مع توجهات النخبة في مجال صنع السياسة الخارجية أخذت تتحدث عن بروز أعداء عالميين جدد. وهذا ما يفسر افتتان الصحافة الأمريكية بالإسلام السياسي وبإيران، وتصوير الصحافة للمسلمين على أنهم دعاة عنف، ولهذا يتم الانتقاص من مكانتهم في الرأي العالم الأمريكي، وهذا يؤثر في معادلة السياسة الخارجية الأمريكية،

لأن صناع القرار وأفراد النخبة السياسية يستقون كثيراً من المعلومات والوقائع التي يحتاجونها من الصحافة.

ثالثا :مستقبل العلاقات بين الإسلام السياسي والغرب

لقد سادت في المجتمع الغربي ظاهرة معاداة الإسلام، وقد نشط المفكرون الغربيون في البحث عن أساليب التعامل مع ظاهرة العدو الجديد، وتراوحت وجهات النظر بين رؤى براجماتية تدعو إلى الاستعداد للتعامل مع الإسلاميين على أنهم بديل قادم عن الأنظمة القائمة، ورؤية تقليدية ترى ضرورة مواجهة هذا الخطر من قبل أن يصبح حقيقة ماثلة. وخلال العقدين الماضيين لم يلاحظ أن وسائل الإعلام أو قادة الرأي في الغرب توافرت لديهم الرغبة في التعرف على حقيقة الإسلام وفهم مبادئه بشكل موضوعي متوازن وبدون تحيز مسبق، بل على العكس من ذلك كان تناول الإسلام السياسي في معظم الأحيان يرتبط بالحديث عن الإرهاب والتخلف والتطور إلى درجة تصوير الإسلام بأنه المسؤول عن كل أعمال العنف أو ردود الفعل التي كانت تقوم فيها جماعات محبطة وبائسة بسبب ما مورس عليها من ظلم وقهر واستغلال من قبل أعداء المسلمين الذين سيطروا على بلادهم، وكان الغرب يقف إلى جانب الظالمين باستمرار بحجة حماية مصالحهم الذاتية والحيوية في العالم الإسلامي.

وضمن وجهات النظر المختلفة نحو كيفية التعامل بين الغرب والإسلام، يطرح أحد المفكرين خمسة مبادئ توجيهية للغرب في التعامل مع الإسلاميين :

١- تجنب وضع الإسلاميين كلهم في سلة واحدة، والنظر إليهم فقط من منظور التهديد الأمني، فهذا خداع للنفس ومجافاة للعدل، وينبغي على الغرب أن يسعى إلى معرفة طبيعية الجماعات الإسلامية وماهيتها بعيداً عن الصورة المشوهة.

٢- تشجيع الأنظمة الحاكمة على ضم الإسلاميين المعتدلين إلى الحكم، فلم يعد بالإمكان تجاهل الاتجاه الإيديولوجي الإسلامي والتفاوض على مواثيق تضمن عدم الانقلاب على العملية الديمقراطية من أي طرف...، ويجب الإشارة هنا إلى أن معظم

الحكومات، وكذلك كثيراً من مجموعات المعارضة العلمانية لم تثبت أنها أكثر التزاماً بالديمقراطية من الإسلاميين.

٣- انتقاد الغرب لانتهاكات حقوق الإنسان والغش في العملية الانتخابية عندما يقعان وليس عندما يتعارضان مع مصالح الغرب. فمصداقية الغرب قليلة بشأن هذه القضايا، كما أن خطاب الغرب بخصوص حقوق الإنسان والديمقراطية يبدو مشروطاً بالاعتبارات الاستراتيجية، وهذه المشروطية قد تكون مشروعة، ولكن الحكومات الغربية لا يمكنها أن تدعي أن لديها مستوى أخلاقياً أعلى من مستوى القوى المعادية للغرب.

٤- حماية الأقليات واحترام جماعاته التي هي ضد الحكم المتعسف، فقد وفرّ الإسلام أشكالاً للابقاء على مجموعات من التشريع داخل نظام الحكم الواحد. ولا شك أن العودة لتلك الأشكال الفريدة من التعدد القانوني والاجتماعي أيسر من إنشاء تعددية غربية، فضلاً عن استعداد الإسلاميين للالتزام بتلك التعددية أكثر من استعدادهم للالتزام بالسياسات التعددية من طراز الغرب.

٥- يجب أن يوقف الغرب نهجه الانتقائي للتدخل العسكري الذي يتكرر بشكل ملحوظ حين يكون القاتل والمقتول من المسلمين، بينما ينظر حين يكون القاتل قوة غير مسلمة. ويجب على الغرب أن يساعد في تحقيق نتائج جوهرية في حل الصراع العربي الإسرائيلي، وبما يؤدي بالنتيجة إلى قيام دولة فلسطينية.

وضمن الرؤى البراجماتية يرى مفكر غربي أخر أنه " قد آن الأوان لكي يعمد الغرب إلى الإسهام في عصر النهضة في العالم الإسلامي، ونحن إذا تعاملنا مع الدول العصرية في العالم الإسلامي كشركاء على قدم المساواة، وإذا سعينا إلى تسوية المسائل الأمنية الصعبة التي ابتلي بها الشرق الأوسط فإننا نستطيع أن نضع الأساس لهذا الميلاد المجيد، وإذا عملنا معاً وجميعاً أفضل ما في حضارتينا، فإن الفترة القادمة من تاريخنا ستكون فترة قوامها التعاون البناء لا الصراع الهدام.

أما الاتجاه الآخر الذي يمثل الرؤية التقليدية التي تدعو إلى المواجهة مع الإسلام، فيقول أحد دعاته "على المدى القصير ... من مصلحة الغرب أن يعزز التعاون والوحدة داخل حدود حضارته، وينبغي عليه أن يحد من القوة العسكرية للحضارات المعادية، وبخاصة الحضارتين الإسلامية والكونفوشية مستغلاً الخلافات والصراعات بين دولهما، وعلى المدى البعيد ينبغي على الغرب اعتماد إجراءات مختلفة مثل تعميق الفهم للمفاهيم الدينية والفلسفية الأساسية للحضارات الأخرى ... وكيف تنظر شعوبها لمصالحها".

هذه بعض وجهات النظر الغربية تجاه الإسلام السياسي، وقد صدر مثلها في الماضي ويمكن أن يصدر في الحاضر والمستقبل الكثير، ولكن بغض النظر عن هذه المواقف تجاه الإسلام السياسي سواء أكانت إيجابية أم سلبية فإن النتيجة التي يتوصل إليها المراقب تكشف عن حقيقة أن ثمة علاقة جديدة في طور التشكيل تضع كلاً من الحضارتين الإسلامية والغربية في مواجهة الأخرى .

ويمكن القول أن المواجهة هذه المرة تختلف عن المواجهات السابقة بين المسلمين وغير المسلمين، التي حدثت عبر التاريخ، ويؤكد الأستاذ صلاح الدين حافظ في سلسلة مقالات له تحت عنوان "الجهاد الديني ورسالة أمريكا السماوية"، وصف فيها الصراع القائم الآن بأنه المجابهة الدينية الحديثة بين الإسلام وشعوبه ودوله وحضارته وثقافته، والمسيحية واليهودية المتمثلتين بحضارة غربية مغايرة، لها هي الأخرى دولها وشعوبها وثقافتها وسياستها ومصلحتها، أنه صراع معقد ومركب يجمع ما بين المبادئ والمصالح: صراع أفكار وسياسات، صراع ثقافات وعقائد، يستعيد دائماً الذاكرة، وأحداث الماضي ومجابهاته التاريخية الملهبة للمشاعر، المثيرة للعواطف، المحركة للتطرف، الدافعة للتعصب، هنا وهناك.